منهج ابن قدامة في تدوين العقيدة

(جمعاً ودراسة)

اعداد

محمد خلف محمد الغامدي

الاستلام : ٢٤/ ٢/ ٢٠١٩ القبول : ٢٥ / ٣ / ٢٠١٩

المقدمة :

الحمد لله الكبير المتعال ، ذي العزة والجلال ، له الأسماء الحسنى وصفات الكمال ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيُه وخليله وخيرته من خلقه ومصطفاه ، وأمينه على وحيه ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، فكشف الله به الغمة ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين .

فإن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ دين الإسلام ، إذ أنّ حِفظَه يكون بحفظ الوحيين - القرآن والسنة) ، والعلم الشرعي بأصوله وفروعه الذي يستنبط منهما قال تعالى : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ، وإنّ من أعظم طرُق حفظ العلوم عامّة والعلوم الشرعية خاصَةً هو ما يسمى بـ - التدوين) . فتدوين العلوم وتقييدها يحفظها من الزوال ، ويصونها عن التعرض للتحريف والنسيان ، وهو من أيسر الطرق لنشر العلم بين العالمين ، فبالتدوين ينتقل العلم بين الأجيال ، ولو تباعدت الأزمان .

ولقد حظي العلم الشرعي – بحمد الله – بالنصيب الأكبر في التدوين على مر العصور إلى يومنا هذا ، ومن أبرز ذلك تدوين العلماء للعقيدة الإسلامية فخرجت مؤلفات عديدة انتشرت بين الناس وانتفع بها المسلمون في سائر الأزمان .

وقد كان غالب مؤلفات السلف الصالح – رضوان الله عليهم – ممن عاشوا في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة جامعةً لأبواب الدين كله ، لا يفرقون بين ما يختص بالأصول أو الفروع ، ثم ظهرت بعد ذلك دوافع وأسباب أحوجت إفراد علم العقيدة بمؤلفات خاصَة ، ومن أبرز العلماء الذين صنفوا في علم الاعتقاد العلامة ابن قدامة المقدسي – رحمه الله – ، الفقيه البارع ، وصاحب العقيدة السلفية الصحيحة ، وله جهود كبيرة في بيان ونصرة عقيدة أهل السنة والجماعة ، وفي الرد على المبتدعة المخالفين لها .

وقد وقع اختياري لهذا العالم الجليل لجمع ما كتبه في هذا الفنّ ، وبيان منهجه في تدوين علم الاعتقاد ، سائلاً الله تعالى أن يكتب لهذا البحث النفع والقبول .

أ) : اسمه ونسبه وكنيته ومولده :

هو أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي المقدسي الجمّاعيلي ثم الدمشقي الحنبلي . ولد في شعبان سنة ٥٤١هـ

بجمّاعيل وهي قرية في فلسطين ، ثمّ قدم دمشق مع أهله وله عشر سنين .

ب) : طلبه للعلم :

نشأ ابن قدامة في بيت علمٍ وفضل مما ساعده على التوجه إلى طلب العلم من صغره، بالإضافة إلى نبوغه منذ الصغر ، فحفظ القرآن وحفظ مختصر الخرقي ، وكذا سمع من والده وأبي المكارم بن هلال ، وأبي المعالي بن جابر ، وغيرهم .

جـ) : ثناء العلماء عليه :

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : " ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الموفق " .

وقال عنه أبو عمرو بن الصلاح : " ما رأيت مثل الشيخ الموفق " .

وقال عنه الذهبي : " الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام " .

د) : أشهر شيوخه :

أخذ الموفق عن مشايخ وعلماء كثيرون ، من أبرزهم :

١- عبدالقادر الجيلاني .
٢- هبة الله الحسن الدقاق .
٣- أبو الفضل الطوسي .
٤- أحمد بن محمد الرحبي .
٥- أبو زرعة بن طاهر .
٦- يحيى بن ثابت .
٧- عبدالله أحمد بن الخشاب .

هـ) : أشهر تلامذته :

أخذ عن الموفق خلقٌ كثير ، من أبرزهم :

١- الجمال بن موسى الحافظ .
٢- أبو بكر الحنبلي .
٣- الفقيه أبو محمد عبدالرحمن المقدسي – شارح المقنع .
٤- الحافظ أبو عبدالله محمد عبدالواحد الجماعيلي المعروف بالضياء .
٥- الجمال بن الصيرفي .
٦- يوسف الغسولي .
٧- زينب بنت الواسطي .

و) : عقيدته :

الشيخ الموفق ابن قدامة من أعلام أهل السنة والجماعة تشهد له مصنفاته العقدية ، قال ابن رجب : " وتصانيفه في أصول الدين في غاية الحسن ، أكثرها على طريقة أئمة

المحدثين ، مشحونةٌ بالحديث والآثار ، وبالأسانيد ، كما هي طريقة الإمام أحمد وأئمة الحديث ، ولم يكن يرى الخوض مع المتكلمين في دقائق الكلام ، ولو كان بالرد عليهم ، وهذه طريقة أحمد والمتقدمين ، وكان كثير المتابعة للمنقول في باب الأصول وغيره ، لا يرى إطلاق مالم يؤثَر من العبارات ويأمر بالإسرار والإقرار لما جاء في الكتاب والسنة من الصفات ، من غير تفسير ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تحريف ، ولا تأويل ولا تعطيل " .

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : " وأما أبو عبد الله بن بطة ، فطريقته طريقة المحدثين المحضة ، كأبي بكر الآجري في الشريعة ، واللالكائي في السنة ، والخلال مثله قريب منه " (١).

لذا فالإمام الموفق ـ رحمه الله ـ على عقيدة السلف الصالح أهل الحديث لاسيما في باب أسماء الله تعالى وصفاته ، وطريقته هي طريقتهم ، وكتبه في الاعتقاد إجمالاً شاهدة على ذلك .

ولكنه رحمه الله أورد بعض العبارات في عددٍ من مصنفاته يُفهَم منها أن المصنِف من أهل التفويض (٢) ، كقوله في ـ لمعة الاعتقاد) : " .. وما أشكل من ذلك ـ يعني مما جاء في القرآن والسنة من الصفات ـ وجب إثباته لفظا ، وترك التعرض لمعناه ، ونرد علمه إلى قائله " (٣) .

وإن المتعمن في كتبه والقارئ لها بعين البصيرة ، يجزم أن الموفق رحمه الله تعالى لم يرد بذلك تفويض المعنى الذي يقول به أهل التفويض ، وإنما عبارته هذه لا تخرج عن أمرين :

أحدهما : نفي الكلام بالكيفيات

ثانيهما : نفي المعاني الباطلة التي صرف المتكلمون نصوص الصفات إليها .

والأمران كلاهما صحيحان ، حيث إن العلم بالكيفية لا سبيل إليه وهو ما أجمع عليه السلف الصالح ، ومقولتهم في هذا مشهورة

حيث روي عن أحد السلف أنه قال : " الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة " (٤) .

وأما نفي المعنى ويقصد به نفي المعاني الباطلة ، فهذا – كذلك ـ مأثور عن السلف ، فقد قال الإمام محمد بن الحسن الشيباني :

" اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب ، على الإيمان بالقرآن والأحاديث ، التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ، ولا وصف ، ولا تشبيه ، فمن فسر اليوم شيئا منها ، فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة ، فإنهم لم يصفوا ، ولم يفسروا ، ولكنهم أفتوا بما في الكتاب والسنة ، ثم سكتوا ، فمن قال

بقول جهم ، فقد فارق الجماعة ؛ لأنه قد وصفه بصفة لا شيء " (٥) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد إيراده لهذا : " وقوله : من غير تفسير، أراد به تفسير الجهمية المعطلة ، ابتدعوا
تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة التابعون من الإثبات " [٦].
ومثل هذا قول الإمام أحمد رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الأحاديث في الصفات : " هذه الأحاديث نؤمن بها ، ونصدق بها ، لا كيف ولا معنى ، ولا نرد شيئا منها " [٧] .
يقول ابن عثيمين – رحمه الله - : " قوله : لا معنى ، أي : لا نثبت لها معنى يخالف ظاهرها ، كما فعله أهل التأويل ، وليس مراده نفي المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذي فسرها به السلف ، فإن هذا ثابت " [٨].
وقال البربهاري – رحمه الله - : " وكل ما سمعت من الآثار شيئا مما لم يبلغه عقلك - وذكر أحاديث في الصفات –
فعليك بالتسليم والتفويض والرضا ، ولا تفسر شيئا من هذه بهواك ، فإن الإيمان بهذا واجب ، فمن فسر شيئا من هذا بهواه ورده فهو جهمي " [٩].
فهذه الآثار تدل على أن العلماء حينما ينهون عن تأويل الصفات وتفسيرها ، فإنهم إنما أرادوا بذلك التفسير المحدث . فتبين بهذا أن ابن قدامة رحمه الله تعالى ليس مفوضا ، حيث إنه برد متشابه كلامه إلى محكمه يتبين مراده ، وكذا برد كلامه إلى كلام السلف ، يتبين أنه لم يأت ببدع من القول ، والله تعالى أعلم .

ز) : مصنفاته في العقيدة :

١- الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم .
٢- إثبات صفة العلو .
٣- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد .
٤- رسالة القرآن وكلام الله .
٥- مناظرةٌ في القرآن .
٦- البرهان في بيان القرآن .
٧- الرد على ابن عقيل الحنبلي.
٨- ذم التأويل .
٩- جواب مسألة وردت من صرخد-٢) في القرآن [١٠].
١٠- رسالةٌ إلى الشيخ فخر الدين ابن تيمية [١١] في تخليد أهل البدع في النار [١٢].
١١- رسالةٌ في القدر [١٣] .
منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين [١٤].

ح) : وفاته :

توفي – رحمه الله – يوم السبت يوم عيد الفطر سنة عشرين وستمائة بمنزله بدمشق ، وصلي عليه من الغد ، وحمِل إلى سفح قاسيون ، فدُفن به ، وكان له جمع عظيم ، امتد الناس في طرق الجبل فملؤوها – فرحمه الله وغفر له .

المطلب الأول : الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم :

- سبب تأليف الكتاب :

بيّن المؤلف سببه ، حيث أنه وقف على قول أحد الجهّال الضلال يبين أن حروف القرآن الكريم مخلوقةٌ ، وأنه استدل على ذلك من الكتاب والسنة ، ولم يُرِدْ أن يردّ عليه لظهور فساد مقالته ، فلما سئل عن هذه الشبهة أجاب عنها بهذا الكتاب.

- موضوع الكتاب :

يتضح موضوع الكتاب من اسمه ، حيث يهدف المصنف إلى إثبات كلام الله على الحقيقة وأنه بحرفٍ وصوت ، والرد على من زعم أنّ كلام الله نفسي قائم بنفس الله تعالى.

كما أنّ ابن قدامة لم يصرح باسم صاحب الشبهة ولكن يظهر من مقولته انتسابه للفرقة الأشعرية أو الماتريدية .

- منهج المؤلف في كتابه :

لما ظهرت المقولة بخلق الحروف أظهر المؤلف رحمه الله هذا المصنف فكان صداً منيعاً عند كل من تلقفت نفسه هذه الشبهة ، حيث قرر فيها أن كلام الله تعالى كلامٌ حقيقي قائمٌ بنفسه بحرف وصوت ،كما بيّن فيها تناقض دعوى المدعي بخلق الحروف ،

وتناقض كلامه ، وفساد مذهبه ، وأنه إن أنكر كونها حروفاً فهي مخالفة للخلق والحق كما بيّن في هذا الكتاب بطلان دعوى الكلام النفسي بأنه معنى في نفس الباري لا يظهر للحس ولا يوصف بأنه صوت ولا حرف ، وبيّن فساد هذا القول من عدة وجوه أبرزها :

أن التحدي وقع بهذا النظم ، فإن قوله تعالى : " أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون – فليأتوا بحديث مثله " والنظم الذي هو سورٌ وآيات وحروف كلمات ، فإن قريشاً لم تزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما في نفس الباري ولا اعترفوا بذلك أصلاً ، وإنما أشاروا إلى هذا النظم الذي سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم وتلاه عليهم ثم قال : " فليأتوا بحديث مثله " أي مثل الحديث الذي زعمتم أنه تقوّله ،وهو هذا لاشك به ولا مرية .

ثم إنهم اعترضوا على القول بحقيقة الكلام بقول الأخطل :

إن الكلام من الفؤاد وإنما *** جعل اللسان على الكلام دليلا

فبيّن المصنِف أن هذا شاعر نصراني عدو لله ورسوله ودينه ، فهل نطرح كلام الله ورسوله وسائر الخلق تصحيحاً لكلامه ؟

- طبعات الكتاب :

طبع الكتاب بتحقيق د.محمد بن عبدالرحمن الخميّس ، حيث اعتمد في تحقيقه على النسخة الأصلية والمحفوظة في المكتبة بالقدس حيث حصل عليها عن طريق مكتبة الملك فهد الوطنية ، حيث قدم لتحقيقه مقدمةً تضمنت : خطورة القول بأن كلام الله

ليس بحرف ولا صوت وأهمية ذلك ، مبيناً أهمية فهم القرآن والسنة بفهم السلف الصالح ، كما قام بالتعريف بالمؤلف وكتابه ،

وخرج أحاديثه ، وعلق على مسائله ، وقد اعتمدت على هذه الطبعة ، وله طبعة أخرى-[1] .

المطلب الثاني : إثبات صفة العلو :

- **سبب تأليف الكتاب :**

لم يبين المؤلف سبب تأليفه ، إلا أنه يظهر من مقدمته أن نابتةً كلاميةً فلسفية ظهرت ، حيث سلكت مسلكاً عقلياً سقيماً تثير الشبه

والاختلاف ، حتى أنها طالت آيات الصفات وهي من الأهمية والعظمة بمكان ، وأخطر هذه الصفات وأهمها هي صفة العلو ،

فقام المؤلف بإثباتها على الوجه الصحيح مدعِماً بذلك الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح رضوان الله عليهم.

- **موضوع الكتاب :**

إثبات صفة العلو لله تعالى بناء على الآيات الواردة في ذلك والأحاديث النبوية الصحاح وأقوال الصحابة والتابعين ، والآثار الثابتة عن ذلك ، وذكر الحجج والبراهين العقلية الدالة على ذلك ، كما بيّن المصنف رحمه الله أهمية الالتزام بالنصوص في باب الصفات ، ثم ذكر أهم الشبه الواردة في هذا الباب ورد عليها ومن تلك الشبه :

- **منهج المؤلف في كتابه :**

لما ظهر الخلط في صفة العلو لله تعالى بين مثبت ونافٍ ، أظهر المؤلف رحمه الله هذا المصنف فكان صداً منيعاً عند كل من تلقفت نفسه هذه الشبهة ، حيث قرر فيها أن العلو لله تعالى علوٌ حقيقي .

فقام ببيان الآيات الصريحة الواردة بأن الله تعالى في السماء ونقل تفسيرها ، ثم سرد الأحاديث الصحيحة المبينة لذات الموضوع ثم ذكر الفرق التي اختلفت في فهمها لهذه الصفة ، وين شبهها وفنّدها ، وأبطلها بالرد عليها ثم بيّن أقوال الصحابة والتابعين والأئمة الشاهدة على ذلك .

- **طبعات الكتاب :**

طبع الكتاب بتحقيق بدر بن عبدالله البدر وقد اعتمدت على هذه الطبعة ، وله طبعات أخرى[15] .

المطلب الثالث : لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد :

- **سبب تأليف الكتاب :**

لم يبين المؤلف سبب تأليفه ، إلا أنه بيّن رحمه الله في رسالته هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات ، والقدر ، واليوم الآخر ، وما يجب تجاه الصحابة ، وكذلك موقف أهل السنة من البدع .

- **موضوع الكتاب :**

يعد هذا الكتاب رسالة جمع فيها المؤلف معتقد أهل السنة والجماعة في إثباته لصفات الله عز وجل كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وآثار السلف الصالح دون تحريف أو تأويل أو تعطيل أو تمثيل، كما أن الرسالة احتوت على الإيمان بالقضاء والقدر، والرد على من أنكر القدر، واحتوت أيضا على مسائل الإيمان، واليوم الآخر، والمعتقد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- **منهج المؤلف في كتابه :**

لم يكن هذا الكتاب مفصلاً لمسائل الاعتقاد أو رداً على الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة بل أراد مؤلفه أن يكون لمعةً تبين الطريق ، وبلغةً للسالكين فإذا قرأها القارئ عرف العقيدة السليمة إجمالاً من جوانبها المتعددة ولو طبقها لاستقام دينه ، كما أنه حرص رحمه الله على ربط كل موضوع بالدليل الصحيح من القرآن والسنة ، وعليه فإن هذا الكتاب تقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة .

- **طبعات الكتاب :**

طبع الكتاب بتحقيق المكتب الإسلامي لزهير شاويش في بيروت ، وله طبعات أخرى[١٦] .

المطلب الرابع : القرآن وكلام الله :

- **سبب تأليف الكتاب :**

هذه الرسالة جاءت جواباً لسائلٍ يسأله عن القرآن الكريم هل هو معنى قائم بالذات ؟ أم أنه هو هذه السور والآيات والحروف والكلمات التي في مصاحف المسلمين ؟ وأي الفريقين أتبع للكتاب والسنة وطريق السلف ؟ فكانت هذه الرسالة القيمة .

- **موضوع الكتاب :**

أوضح المصنف رحمه الله في هذه الرسالة منهج أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم وأنه كلام الله تعالى حقيقةً ورد الشبه المثارة من قبل الفرق المخالفة كالأشعرية والمعتزلة وأنّ أول من أظهر هذه المقولة هم الجهمية .

- **منهج المؤلف في كتابه :**

قرر المصنف رحمه الله في هذه الرسالة بطلان قول الأشعرية بأن القرآن الكريم كلامٌ نفسي قائم بالذات كما أنه استشهد بأغلب نصوص القرآن والسنة في الرد على هذه الشبهة واصفاً بأنها جليَة لا يعرف لها مخالف إلا الجهمية الذين ابتدعوا القول بها ، كما بيَن بأن القائلين بأن كلام الله تعالى نفسي هم رادّون على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى الصحابة وهم مخالفون للإجماع ، فما كان منه رحمه الله إلا استعرض نصوص الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين الدالة على أن نصوص القرآن آيات وحروف وأنه كلام الله حقيقة بل أردف ذلك بقوله : أن الجن والكفار سموه كذلك قرآناً وليس حكايةً وقام برد

دعوى الجهمية ومن تبعهم في هذا القول كالأشعرية والمعتزلة الذين خالفوا فهم السلف في حقيقة كلام الله تعالى .

- طبعات الكتاب :

طبع الكتاب بتحقيق د. يوسف بن محمد السعيدِ من دار أطلس الخضراء .

المطلب الخامس : مناظرةٌ في القرآن :

- سبب تأليف الكتاب :

هذا الكتاب أصله مناظرةٌ جرت بين الإمام الموفق وبعض الأشعرية في القرآن الكريم، فرأى الشيخ بسبب كثرة سؤال بعض أصحابه عنها أن يكتب ما جرى له في تلك المناظرة مع ذلك الأشعري ، إلا أن الشيخ أوردها هنا على سبيل الحكاية لا المناظرة خشية الزيادة والنقصان فيها .

- موضوع الكتاب :

قرر المصنف رحمه الله في هذا الكتاب عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم من خلال رده على الأشعرية وأغلظ عليهم لقبح مقالتهم ومخالفتها للنقل الصحيح والعقل الصريح .

- منهج المؤلف في كتابه :

هذا الكتاب تقريرٌ بأن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق وردٌ على الأشعرية المنتسبين للأشعري القائلين بأن كلام الله مخلوق ، وكذا الأسماء الحسنى ، وما ذكروه بأن المنزل شيء واحد غير متعدد وبيان معنى التعاقب عندهم ، ففنّد الشبه التي أوردوها وبيّن منطلقها ورد عليها إجمالاً وتفصيلاً وبين آثارها على الفرد المسلم وأنها في الحقيقة تؤدي إلى إنكار الوحي كما أنهم لا يجرؤون على بيان مقالتهم بوضوح لعلمهم بشاعنتها وما تفضي إليه عند مرتاديهم.

- طبعات الكتاب :

طبع الكتاب بتحقيق أبو عبد الله محمد بن حمد الحمود بإصدار مكتبة ابن تيمية في الكويت ١٤١٠ هـ ، كما طبع الكتاب بتحقيق عبدالله بن يوسف الجديع حيث سمى الكتاب بـ " حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة " وعليه اعتمدت .

المطلب السادس : البرهان في بيان القرآن :

- سبب تأليف الكتاب :

لم يوضح المؤلف سببه ، ولكن فيما ظهر لي أنه كتبه تأييداً لرسائله السابقة في هذا الباب ، وحرصاً على نشر عقيدة السلف في القرآن العظيم لاسيما أن الحقبة التي عاشها الإمام الموفق كانت تصدع بالشبهات المثارة حول قضية خلق القرآن واغترار بعض الخلق بمقالات الأشاعرة .

- **موضوع الكتاب :**

يبحث المصنف في هذا الكتاب حقيقة الحرف في القرآن الكريم وهل هو قديم أو حادث ؟ وهو بيان بخطأ الأشاعرة أثناء ردهم على المعتزلة بالقول بخلق القرآن ـ كغيره من الكتب التي كتبها من قبل في هذا الشأن إلا أنه قد كتبه قبل وفاته بأربع سنوات وهو من أواخر كتبه رحمه الله .

- **منهج المؤلف في كتابه :**

عالج المصنف رحمه الله تعالى في هذا الكتاب قضية حقيقة الحرف في القرآن الكريم عن طريق الآيات الصريحة في الدلالة والأحاديث الصحيحة في المعنى مع استخدام دلالة اللغة العربية على المعنى المراد ، كما أنه وكما هو معلوم عنه في كتبه لم يستخدم الكلام الجدلي والإلزامات العقلية كعادة أهل الكلام ومن شابههم . وقد بين رحمه الله أن القرآن كلام الله وذكر عشرة أوجه ضمَن فيها أدلته على صحة معتقد أهل السنة والجماعة في هذا الباب ، ورد على الأشاعرة بعشرة أوجه كذلك وأنهم يعتمدون على الشعر ومنطلقات العقل تاركين النصوص خلف ظهورهم كما بيَن لوازم مقالتهم وأنهم جبناء في إثبات مقالاتهم ونشرها كما بيَن عزّة القرآن وعظمته وأن أهله المتبعون له قلّة .

- **طبعات الكتاب :**

طبع الكتاب بتحقيق د. سعود بن عبدالله الفنيسان بإصدار مكتبة الهدي النبوي في الرياض ١٤٠٩ هـ .

المطلب السابع : الرد على ابن عقيل الحنبلي :

- **سبب تأليف الكتاب :**

كتب ابن قدامة ـ رحمه الله – كتابه هذا ليبين بها شأن ابن عقيل في أمره واعتقاده وما كان عليه من بدعةٍ واعتزال . قال فيه الذهبي ـ رحمه الله ـ : " أحد الأعلام ، وفرد زمانه علماً ونقلاً وذكاءً وتفنناً إلا أنه خالف السلف ، ووافق المعتزلة في عدة بدع نسأل الله السلامة، فإن كثرة التبحر في علم الكلام ربما أضر بصاحبه ... " (١٧)

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ : " إن أصحابنا ينقمون على ابن عقيل تردده إلى ابن الوليد وابن التبان شيخيّ المعتزلة ، وكان يقرأ عليهما في السر علم الكلام ، وتظهر منه في بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة وتأول لبعض الصفات ، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رحمه الله " (١٨).

- **موضوع الكتاب :**

هذا الكتاب يعتبر من أبرز الكتب التي صنفها المؤلف في الرد على من خالف منهج أهل السنة والجماعة كابن عقيل ، حيث إن المصنف رحمه الله دعا إلى العودة إلى منابع الدين الصافية وانتهاج منهج السلف الصالح في تلقي أمور دينهم وعقيدتهم

بصورة نقيَة عن زخرف البدع ونبذ المناهج الدخيلة التي أفسدت على المسلمين دينهم وعقيدتهم كما حث على لزوم طريقة السلف الصالح لا سيما في إثبات صفات الله تعالى وذم علم الكلام وطريقة المتكلمين وبيّن أن هذه الطريقة تقوم على تقديم العقل على النقل .

- **منهج المؤلف في كتابه :**

أوضح المصنف رحمه الله تعالى في هذا الكتاب حقيقة علم الكلام من خلال الرد على ابن عقيل رحمه الله حيث أدى اشتغاله غفر الله له بعلم الكلام إلى ذم المتبعين لطريقة السلف الصالح ورميهم بالتقليد الأعمى وقد وقف ابن قدامة من خلال هذه الرسالة موقفاً شديداً من ابن عقيل لا سيما أن أبناء المذهب الحنبلي يكبرون إمامهم أحمد بن حنبل رحمه الله ويعتبرون بمواقفه الثابتة أمام علماء أهل الكلام فلذا كان الموقف من ابن عقيل أشد من غيره .

وجملة ما تدور حوله رسالة ابن عقيل ثلاثة أمور :

أولاً : ذم اتباع طريقة السلف الصالح رحمهم الله ودعوته إلى النظر في علم الكلام ، فرد عليه المصنف رحمه الله بوجوه عدة أبطل بها دعواه ، ومن أبرزها : أن طريق السلف قد ثبت بالدليل القاطع سلامته ، وصحة حجته من الكتاب والسنة والإجماع فلا حاجة للكشف عن صحة دليل آخر .

ثانياً : إن الأخبار يجب إخراجها لأنها أخبار آحاد وقد رد عليه المصنف ببيان وجوب هذه الأخبار لاتفاق الأئمة على صحتها وروايتها وتخريجها في الصحاح والمسانيد كما أن رواة هذه الأخبار هم نقلة الشريعة ورواة الأحكام .

ثالثاً : قوله : أخبرونا ما الذي يظهر لكم من معنى هذه الألفاظ الواردة في الصفات ؟ فأجاب المصنف بقوله : لا نزيدك على ألفاظها زيادة تفيد معنى قد علمنا أن لها معنى في الجملة ، يعلمه المتكلم بها ، فنحن نؤمن بها بذلك المعنى . ثم ختم رسالته موصياً بلزوم الثبات على منهج السلف الصالح وعدم الاغترار بالعلم أو الذكاء ونحو ذلك فهذا ابن عقيل عالم زمانه وحجة عصره لم يسلم فنسأل الله تعالى الثبات على دينه .

- **طبعات الكتاب :**

طبع الكتاب بتحقيق أحمد فريد المزيدي بإصدار دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٢٥هـ.

المطلب الثامن : ذم التأويل :

- **سبب تأليف الكتاب :**

ذكر المصنف – رحمه الله - أنه يريد بهذا الكتاب أن يذكر مذهب السلف الصالح ومن اتبعهم بإحسان في أسماء الله وصفاته ليسلك سبيلهم من أحب الاقتداء بهم وأن يحشر في زمرتهم ، إذ أن كل تابعٍ في الدنيا مع متبوعه في الآخرة وهو موعودٌ بما وعد به متبوعه من خير أو شرٍ والله المستعان .

- **موضوع الكتاب :**

بيَن المصنف رحمه الله تعالى في هذه الرسالة مذهب السلف رضوان الله عليهم في صفات الله عز وجل وكيف أنهم تلقوا أخبارها وأثبتوا ما جاء فيها من غير تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل ، كما رد على شبه القائلين بأن السلف عندما أثبتوا هذه الصفات إنما قاموا بتأويلها ليستقيم المراد فيها .

- **منهج المؤلف في كتابه :**

ركز المصنف رحمه الله تعالى في هذه الرسالة على توحيد الأسماء والصفات حيث تضمنت ثلاثة أمور تتمثل فيما يلي :

أولاً : بيان مذهب السلف الصالح في صفات الله تعالى ، حيث حشد المصنف – رحمه الله – نصوص الوحيين وأقوال الصحابة والتابعين وآثار العلماء والأئمة وأقوالهم في صفات الله تعالى وأننا نثبتها لله تعالى دون الخوض في كيفيتها ونمرها كما جاءت .

ثانياً : الحث على اتباعهم ولزوم طريقتهم ، وذلك من خلال النصوص الدالة على ذلك من القرآن والسنة النبوية الصحيحة وأقوال أئمة الدين .

ثالثاً : بيان صواب ما صاروا عليه ، وأن الحق ما كانوا عليه ، وذلك عن طريق الاستنباط من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأن الله تعالى ذم التأويل وأنه من صفات الذين في قلوبهم زيغ ، كما أورد رحمه الله إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ترك التأويل وأن التأويل في الأصل ليس بواجب بالإجماع ولا يلزم لأي أحد الكلام في التأويل(١٩).

- **طبعات الكتاب :**

طبع الكتاب بتحقيق بدر بن عبدالله البدر بإصدار مكتبة دار الفتح بالشارقة ١٤١٤هـ.

المراجع :

١) سير أعلام النبلاء - ١٦٥/٢٢-١٧٣) ، ذيل طبقات الحنابلة - ٢٨١/٣-٢٩٨) ، البداية والنهاية لابن كثير - ٩٩/١٣-١٠١) ، فوات الوفيات - ١٥٨/٢) ، التكملة في وفيات

٢) النقلة للمنذري - ١٠٧/٣) ، شذرات الذهب لابن العماد - ٨٨/٥-٩٢) .

٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - ٥٢/٦-٥٣) .

٤) التفويض الباطل هو : إثبات اللفظ من غير معرفة معناه .

٥) لمعة الاعتقاد : ص١٤ .

٦) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول - ص ١٣٣) : " ومثل هذا الجواب - يعني جواب مالك - ثابت عن ربيعة شيخ مالك. "

٧) شرح أصول أهل السنة والجماعة : - ٤٣٢/٢) .

٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - ٥٢/٦-٥٣) .

٩) من بلاد حوران من أعمال -دمشق) معجم البلدان - ٣/ ٤٥٥) .

١٠) غير مطبوع ولم أقف عليه ، وذكره ابن رجب ضمن مصنفات ابن قدامة في الذيل على طبقات الحنابلة : - ٢٩٢/٣) .

١١) هو محمد بن الخضر بن محمد ، ابن تيمية الحراني ، فقيه واعظ ، مات سنة اثنتين وعشرين وستمائة بحرّان .

١٢) غير مطبوع ولم أقف عليه ، وذكره ابن رجب ضمن مصنفات ابن قدامة في الذيل على طبقات الحنابلة : - ٢٩٢/٣) .

١٣) غير مطبوع ولم أقف عليه ، وذكره ابن رجب ضمن مصنفات ابن قدامة في الذيل على طبقات الحنابلة : - ٢٩٢/٣) .

١٤) غير مطبوع ولم أقف عليه ، وذكره ابن رجب ضمن مصنفات ابن قدامة في الذيل على طبقات الحنابلة : - ٢٩٢/٣) .

١٥) بتحقيق : د.عبدالله بن صالح البراك ، من إصدار دار الوطن بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

١٦) بتحقيق : د.أحمد بن عطية الغامدي

١٧) منها : تحقيق بدر عبدالله البدر

١٨) ميزان الاعتدال - ١٤٦/٣) .

١٩) طبقات الحنابلة - ٢ / ٢٥٩) .